

المحامي في صفقات الاستثمار.. "مهندس العقود" لا مجرد كاتب لها

المحامي الدكتور عبدالعزيز بن سعد الدغيثر في العاشر من ذي القعدة ١٤٤٧

في مشهد الاستثمار المتسارع الذي تشهده المملكة اليوم، لم يعد دور المحامي يقتصر على صياغة العقود وتذليلها بالتوقيعات، بل تحول إلى شريك استراتيجي و"مهندس" حقيقي للصفقات، يوازن بين طموحات المستثمرين وضوابط الأنظمة والتشريعات.

إن دور المحامي في صفقات الاستثمار ليس شكلياً، بل هو عنصر حاسم لحماية الصفقة من المخاطر القانونية والتنظيمية. ويمكن تلخيص أهم أدواره كالتالي:

(١) مرحلة الفحص القانوني "الفحص النافي للجهالة" (Due Diligence)

يقوم المحامي بمراجعة وضع الشركة أو الأصل محل الاستثمار، فيتأكد من التراخيص، والعقود، والنزاعات، وصحة الملكيات، والحقوق الفكرية من براءات اختراع وعلامات تجارية ووكالات حصرية والالتزامات والديون التي في ذمم الغير، والهدف كشف أي مخاطر مخفية قبل إتمام الصفقة.

إن نجاح أي صفقة استثمارية يبدأ من "الفحص النافي للجهالة" (Due Diligence)، وهي المرحلة التي يغوص فيها المحامي في تفاصيل الكيان المستهدف، كاشفاً عن المخاطر القانونية والالتزامات الخفية التي قد تهدد جدوى الاستثمار. هذا الدور الاستقصائي هو ما يمنح المستثمر الطمأنينة قبل ضخ رؤوس الأموال.

(٢) هندسة هيكل الصفقة الاستثمارية

تعد صفقات الاستثمار، سواء كانت جولات تمويلية للشركات الناشئة أو عمليات استحواذ كبرى، عمليات معقدة تتطلب تصميم هيكل قانوني مرن ونظامي في آن واحد. هنا يتجلى دور المحامي في اختيار الأوعية القانونية المناسبة، وضمان مواءمة الصفقة مع متطلبات وزارة التجارة والهيئة العامة للمنافسة وهيئة السوق المالية في حال كون الشركة مدرجة، مما يقي الأطراف من عثرات البطلان أو الغرامات.

إن المحامي المميز يستطيع تحديد الشكل الأنسب للصفقة من استحواذ كامل، أو اندماج رأسي أو أفقي، أو تملك حصة جزئية، أو زيادة رأس مال، أو شراكة. ويأخذ في الاعتبار الأنظمة المحلية (مثل أنظمة وزارة التجارة والهيئة العامة للمنافسة) لضمان سلامة الهيكل.

٣) التفاوض: لغة القانون والمال

في غرف المفاوضات، يعمل المحامي كمترجم للمصالح التجارية إلى نصوص قانونية ملزمة. لا تقتصر مهمته على حماية حقوق موكله فحسب، بل في إيجاد حلول ابتكارية تذلل العقبات القانونية التي قد تعيق إتمام الصفقة، مع ضمان وجود آليات واضحة لفض المنازعات (كالتحكيم) تحمي مستقبل الشراكة.

٤) صياغة العقود والاتفاقية

تتسم صفقات الاستحواذ أو الاندماج أو التملك بتسلسل زمني دقيق يهدف إلى بناء الثقة وحماية البيانات تدريجياً، والمحامي المميز هو ريان سفينة الاستثمار في الصياغات القانونية.

إن الترتيب المعتاد لهذه المراحل في بيئة الأعمال القانونية:

١. اتفاقية عدم الإفصاح والسرية (NDA - Non-Disclosure Agreement)

هي الخطوة الأولى والأساسية؛ حيث يلتزم الطرفان (خاصة المشتري) بعدم تسريب أي معلومات مالية أو تشغيلية يحصلان عليها خلال المفاوضات، لضمان حماية أسرار الشركة المستهدفة في حال عدم إتمام الصفقة.

٢. خطاب النوايا أو مذكرة التفاهم (LOI - Letter of Intent / MoU)

وثيقة غير ملزمة في معظم بنودها، تحدد الخطوط العريضة للصفقة (مثل النطاق السعري التقريبي، الهيكل المقترح، والجدول الزمني). غالباً ما تتضمن بنوداً ملزماً بـ "الحصرية" لمنع البائع من التفاوض مع مشترٍ آخر لفترة محددة.

٣. الفحص النافي للجهاالة (Legal & Financial Due Diligence)

وهي المرحلة الأكثر حرجاً؛ حيث يقوم فريق المحامين والمحاسبين التابع للمشتري بفحص دفاتر الشركة، عقودها، قضاياها المنظورة، والتزاماتها الضريبية. الهدف هو التأكد من أن "ما يشتريه المشتري هو فعلاً ما رآه وعلم به".

٤. صياغة اتفاقية الشراء النهائية (SPA - Share Purchase Agreement)

بعد الرضا عن نتائج الفحص، يتم إعداد "عقد البيع". وهذا العقد هو الوثيقة القانونية الرئيسية والملزمة التي تفصل السعر النهائي، وشروط الدفع، والضمانات (Warranties) والتعهدات التي يقدمها البائع للمشتري.

٥. اتفاقية المساهمين (SHA - Shareholders' Agreement)

يمكن كتابة اتفاقية بين المساهمين حيث تتم هذه الخطوة إذا لم يستحوذ المشتري على ١٠.٠٪ من الشركة؛ وتحدد هذه الاتفاقية كيفية إدارة الشركة مستقبلاً بين المالك الجديد والملاك المتبقين، وتوزيع المقاعد في مجلس الإدارة.

٦. متابعة التوقيع والإغلاق (Signing & Closing)

* التوقيع: هو الالتزام القانوني بالصفقة.

* الإغلاق: هو نقل الملكية الفعلي وسداد الثمن. قد يفصل بينهما وقت للحصول على موافقات حكومية (مثل موافقة الهيئة العامة للمنافسة).

٧. إجراءات ما بعد الإغلاق (Post-Closing Obligations)

تشمل تعديل السجل التجاري، عقد الجمعيات العمومية، وتعديل النظام الأساسي للشركة ليعكس الملاك الجدد.

إن المحامي المميز يقود الصفقة من مرحلة التفاوض إلى الاتفاق النهائي لحماية مصالح موكله وتقليل الالتزامات المستقبلية.

٥) الامتثال التنظيمي

يتأكد المحامي المميز من التزام الصفقة بالأنظمة: المنافسة، الاستثمار الأجنبي، التراخيص، والحوكمة. وأحياناً يتولى الحصول على موافقات الجهات المختصة.

٦) إدارة المخاطر

يضع المحامي المميز بنوداً تقلل المخاطر مثل:

* شروط إتمام الصفقة (Conditions Precedent)

* بنود الانسحاب ويسمى في الفقه الخيار.

* آليات تسوية النزاعات من الرجوع للتسوية الودية ثم التحكيم أو الإحالة للقضاء

٧) الإقفال وما بعده (Closing & Post-Closing)

يشرف المحامي المميز على إتمام نقل الملكية، توثيق العقود، وتحديث السجلات، ثم يتابع الالتزامات بعد الصفقة.

خاتمة

إن الاستثمار الآمن لا يعتمد فقط على وفرة السيولة أو جدوى المشروع، بل على "الغطاء القانوني" الذي يحمي هذه الاستثمارات. لذا، يظل المحامي المتخصص هو صمام الأمان الذي يحول التفاهات الشفهية إلى أصول قانونية مستدامة، تسهم في تعزيز ثقة المستثمرين ودفع عجلة الاقتصاد الوطني.

باختصار: المحامي في صفقات الاستثمار هو "مهندس الصفقة قانونياً"، يضمن أنها تُبنى بشكل صحيح وتنفذ بأقل قدر ممكن من المخاطر.